

لبنية القصيدة ثلاثة أنماط :

1. بنية تجاورية : وهي استغلال كل بيت في القصيدة والتقيد بوحدة الموضوع.

2. بنية تداخلية : لا يمكن فيها تقديم أو تأخير أو حذف أبيات.

3. بنية تجادلية : تقوم على حركة درامية في داخل القصيدة ، وتقدم أصواتاً متعددة ومتصارعة بما فيها صوت الشاعر.

لقد مارس ميخائيل هذه الأنماط من البنى ، وما إنحاز إلى هيكل القصيدة الخارجي أي الشكل ، ولا إلى هيكل القصيدة الداخلي أي المضمون.

عرفت الأديب المتمكن ميخائيل منذ السبعينيات من القرن الماضي من خلال مجلة المثقف الأثوري الصادرة عن النادي الثقافي الأثوري في بغداد ، وكان في حينها سكرتير تحريرها ، وقد شاركت في نشر البعض من قصائدي فيها ، وكان الأستاذ ميخائيل مسؤول النشر ، وكم سرّني لقاؤه ونحن في عمر الشباب ، وذلك عام 1974 عندما جاءنا زائراً إلى مدينة كركوك ليشارك في الأمسية الشعرية التي أقيمت في النادي الأثوري الرياضي ، حيث ألقى قصيدته الزلزالية الموسومة (عدت لا أطيق عتمة القبر) التي أخرج فيها نافثاً ما في دواخله الحقيقية المتمردة على واقع الشعب العراقي ككل مروراً بما يعانیه أبناء جلدته من العنت والمطاردة والحرمان من استنشاق هواء الحرية.

هذه القصيدة فتحت شعباً في نفسية المُتلقي ، فتحوّلت من منطقة مهجورة إلى مسكونة ، ولا زال وقع تلك القصيدة يحفر أرض ذاتي.

تتشكل هذه القصيدة من بؤرة النص الأصلي (عدت لا أطيق عتمة القبر) ومن دورات تدور في فلك المحور أو البؤرة التي تركز مقاطعها المختمة بذات اللازمة. وإليك البعض من مقاطعها:

دلفتُ دهاليز التجربة

وامتطيتُ صهوة حصان تجره العربة

يجوب أطلال بابل ونيوى وحضارة قرطبة

هنا ترى حركة سارية في الأسطر الثلاثة ، والسطر الأخير يدخل فيه عامل الزمن أيضاً. فالشاعر مرتبط بحركته إلى حضارات ثلاث لم يبق من الأولى والثانية غير الأطلال ، وأما الثالثة فقد أفلت مع أفول الدولة الأموية.

يا بشري

انتفض ، لا تخف

أنا وحدي لي قدرتي

ويهمس نغمه الخالد

ردّ ذياً جيلي الصامد

أنا قوة الحرب

أنا لعنة الصُخب

عدتْ لا أطيق الصمت في شعبي

عدتْ لا أطيق تأوهات على القبر

إنه يدعوك إلى الثورة ، والثائر يتحكم بالقدر ، وله القوة في الحرب ، ولا يتحمل خمول الشعب لأن الشعب الخامل لا يصنع التاريخ.

طعنة الماضي احرقوها
رسالة الزيف مزقوها
ثورة النصر عمقوها
فجروها واعلنوها...

يحث بني أمته على نسيان طعنة التاريخ وإظهار الحقائق بجرأة عالية والأخذ بأية انتفاضة أو ثورة ، تعميقاً وتفجيراً.

هلموا جربوا مرونة الإنسان
وكونوا مسيح هذا الزمان

يدعو إلى التحلي بالمبادئ السامية من تسامح وفداء.

كناري الروح لا تغضب
ما أفرام لا تعتب
أندري ما شربنا ولم نتعب
شربنا السمّ والعلقم
كفانا ، إننا لم نهرب

يخاطب عظمائنا وادبائنا مار نرسي الملقب (كناية الروح) ومار أفرام الكبير ، شارحاً لهم مأساتنا ، ليخبرهم اننا لا زلنا صامدون رغم كل السلبيات التي تقف من عمرنا لتمحي وجودنا.

بقي لنا أن نقول بأن للأديب ميخائيل ممو تجربة غنية لأكثر من أربعين سنة في مجال الأدب ، بحقوله المتفرعة كالشعر والمقالة والصحافة والترجمة ، يتحدث بلغة حضارية ، قصائده ليست ضبابية ، تشدك إليها بجماليتها وفكرتها ، ونثرياته تلامس المفكرين والشارع.

إنه كبير المقام ، ولكنه متواضع لا يسكن الأبراج العاجية ، بصماته واضحة على الأدب العربي والآشوري ، فهو شامخ دوماً كخنيل سعفاته لا تضر ، وهو حركي كنه مندفح لا يتحكم في مجراه. وكما قال الشاعر الفرنسي رامبو (إن الشاعر يبلغ المجهول ، وإذا لم يستطع في نهاية الأمر أن يفهم رؤاه ، فيكفي أنه تمكن من رؤيتها). فهذا هو في شكل ومضمون قصيدته الأنفة الذكر قد تمكن من رؤية ما لا يتراءى للرأي البصير ، مقتنعاً من طرحه بوثبته التي توحى لنا بأنه موجود دائماً في الحاضر ، في الليل يفتح نافذة لتدخل نسمة الماضي وتخرج في الصباح عاصفة المستقبل.

بقلم : نينوس نيراري

شيكاغو 7 شباط 2009